مُخْتَصر كِتابِ التَوحيدْ

لفضيلة الشيخ العلّامة صالح بن فوزان الفوزان

إخْتَصرهُ و أعدّهُ

أيمن إبراهيم

الطبعة الأولى ١٤٤٧

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة الناشر

الحمدُ للهِ ربِ العالمين , و الصلاةُ و السلامُ على رسولِ الله و على آله و أصحابه أجمعين و من تَبِعُهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ, و بعد:

فإنّ هذا مُختصرٌ[1] يسير " لكتابِ التوحيد " لفَضيلة الشيخ العلّامة صالح بن فوزان الفوزان - أجزلَ اللهُ له المثوبة - أقدّمهُ للقارئِ لِما لهذا الكتاب مِنْ عِظَمِ الفائدةِ و سهولة في العبارة, فتوكلت على الله مستعينا فاختصرتهُ في ورقاتٍ يسيرةٍ لتَسهيل قِراءَته لِعامّةِ الناس كما و إنّي قد عَزوتُ مواضع الآيات من كتاب الله و تخريجَ الأحاديث, كما أضفتُ بعض الفوائِدِ على الهامش, و أسأل الله العلي القدير أن ينْفَعَ بهِ, و أنْ يهدِيَنا و يثّبّتنا على توحيدهِ, و الاعتصام بكتابهِ و سنة رسولهِ إلى يومِ لقائه, و صلى الله و سلم و بارك على نبينا محمد و آله و صحبه .

كَتَبهُ الفقيرُ إلى عفوِ ربه غفرَ الله لهُ و لوالديه

أيمن إبراهيم

٠٨ شعبان ١٤٤٧

[1] هذا العمل لمْ يُعرض و يُراجع على الشيخ - رحمهُ الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المؤلف

الحمدُ لله رب العالمين, و الصلاة و السلام على نبيه الصادق الأمين نبينا محمد و على آله و صحبه أجمعين , و بعد:

فهذا كتابٌ في علم التوحيد, و قد راعيت فيه الاختصار مع سهولة العبارة, و قد اقتبسته من مصادر كثيرة من كتب أئمتنا الأعلام – و لا سيما كتب شيخ الإسلام ابن تيمية, و كتب العلّامة ابن القيم, و كتب شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهّاب و تلاميذه من أئمة الدعوة المُباركة, و مما لا شك فيه أنّ علم العقيدة الإسلامية هو العلم الأساسي الذي تجدر العناية به تعلماً و تعليماً و عملاً بموجبه لتكون الأعمال صحيحة مقبولة عند الله نافعة للعاملين, خصوصا و أنّنا في زمان كَثُرت فيه التيارات المنحرفة: تيار الإلحاد, و تيار التصوّف و الرّهبنة, و تيار القبورّية الوثنيّة و تيار البِدَعْ المخالفة للهدي النبويّ , و كلّها تيارات خطيرة مالم يكن المُسلم مسلحاً بسلاحِ العقيدة الصحيحة المُرتكزة على الكتّاب و السنة و ما عليه سلف الأمّة ؛ فإنّه حريٌ أن تجْرِفهُ تلك التيارات المُضلّة, و هذا مما يستدعي العناية التامّة بتعليم العقيدة الصحيحة لأبناء المسلمين من مصادرها الأصيلة .

كَتَبهُ فَضيلةُ الشيخ صالح بن فوزان الفوزان

الباب الأول: الإنحراف في حياة البشرية و معرفة الكُفر و الإلحاد و الشرك و النفاق

الفصلُ الأول: الإنحرافُ في حياة البشرية.

خلقَ اللهُ الخلقَ لعبادته, و هيأ لهم ما يُعينُهم عليها من رِزقه .

قال تعالى : { **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ** }[1]

و النفسُ بِفِطرتها إذا تُركت كانت مُقرّةً للهِ بالألوهية, مُحِبةً لله تعبُدهُ لا تُشركُ به شيئاً, و لكن يُفسدها و يحرفُ بها عن ذلك ما يزين لها شياطينَ الإنسِ و الجن بما يوحي بعضهم إلى بعضٍ زُخرُف القولِ غروراً, فالتوحيدُ مركوزٌ في الفِطَرْ , و الشِركُ طارئٌ و دخيلٌ عليها ، قال تعالى : { **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ** }[2]

و قال ﷺ : { **كلُ مولودٍ يولدُ على الفِطرةِ, فأبواهُ يُهَودانِهِ, أو ينُصّرانِهِ, أو يُمجّسانِه** }[3] فالأصل في بني آدم التوحيد .

و الدينُ: الإسلام من عهدِ آدمَ عليه السلام و من جاء بعدهُ من ذُريته قروناً طويلة – قال تعالى : { **كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ** }[4] , و أول ما حدث الشرك و الإنحراف عن العقيدة في قوم نوح , فكان عليه السلام أول رسول ؛ { **إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ** }[5]

---

[1] الذاريات: ٥٦ - ٥٨

[2] الروم: ٣٠

[3] أخرجه البخاري (١٣٨٥) مطولاً، ومسلم (٢٦٥٨) مطولاً باختلاف يسير

[4] البقرة: ٢١٣

[5] النساء: ١٦٣

قال ابنُ عبّاس: { كانَ بين آدم و نوح عليهما السلام عشرة قرون كلهم على الإسلام } - قال ابن القيم[1] - و هذا القولُ هو الصواب قطعاً, فإنّ قراءة أبيّ بن كعب يعني في آية البقرة : { **فَاخْتَلَفوا فَبَعَثَ اللهُ النبيين** } , و يشهد لهذه القراءة قوله تعالى : { **وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا** }[2]

يُريدُ رحمه الله أن بعثة النبيين سببها الإختلاف عمّا كانوا عليه من الدين الصحيح - كما كانت العرب بعد ذلك على دين إبراهيم عليه السلام حتى جاء عمرو بن لُحيّ الخُزاعي فغيّر دين إبراهيم و جلب الأصنام إلى أرض العرب و إلى أرض الحجاز بصفة خاصة فعُبدت من دون الله و انتشر الشرك في هذه البلاد المُقدّسة و ما جاورها إلى أن بعث الله نبيه محمداً خاتم النبيين ﷺ فدعا الناسَ إلى التوحيد و إتّباع ملة إبراهيم و جاهد في الله حقّ جهاده, حتى عادت عقيدةُ التوحيد و ملةُ إبراهيم ؛ و كسّر الأصنام؛ و أكمل الله به الدين؛ و أتمّ به النعمة على العالمين؛ و سارت على نهجهِ القرون المُفضّلة من صدر هذه الأمّة .

إلى أن فشا الجهل في القرون المتأخرة, و دخلها الدخيل من الديانات الأخرى, فعاد الشرك إلى كثير من هذه الأمة بسبب دعاة الضلال, و بسبب البناء على القُبور؛ متمثلاً بتعظيم الأولياء و الصالحين, و إدّعاء المحبة لهم حتى بُنيت الأضرحة على قبورهم, و اتُّخذَت أوثاناً تُعبد من دونِ الله بأنواع القُرُبات من دُعاءٍ و إستغاثة و ذبحٍ و نذرٍ لمقاماتهمْ, و سموا الشركَ توسلاً بالصالحين و إظهاراً لمحبتهم و ليس عبادة بزعمِهم ؛ و نسوا أنَّ هذا هو قولُ المُشركين الأولين حيثُ يقولونَ : { **مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ** }[3]

و مع هذا الشرك الذي وقع في البشرية قديماً و حديثاً فالأكثرية منهم يُؤمنون بتوحيد الربوبية[4] , و إنّما يُشركون في العبادة, كما قال تعالى : { **وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ** }[5] ؛ و لم يجحد وجود الربّ إلّا نَزرٌ[6] يسير من البشر: كفرعونَ و الملاحدةُ الدهريين و الشيوعيين في هذا الزمان – و بجحودهم به

---

[1] إغاثة اللهفان (٢ / ١٠٢)

[2] يونس: ١٩

[3] الزمر: ٠٣

[4] توحيد الربوبية: هو إفرادُ الله سبحانهُ وتعالى بأفعاله، مثل الخلق، والملك، والتدبير، والرزق، والإحياء، والإماتة

[5] يوسف: ١٠٦

[6] نَزْرٌ: أيْ لشيء القليل، النادر، أو الزهيد

من باب المُكابرة, و إلّا فَهُم مضطرّون للإقرار به في باطنهم و قرارة أنفسهم – كما قال تعالى : { **وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا** }[1]

و عقولُهم تعرفُ أنّ كُلَ مخلوق لابدّ لَه من خالِق ؛ و كلُ مَوجود لا بُد لهُ مِن مُوجِدْ[2] ؛ و أنّ نظام هذا الكون المُنضبط الدقيق لا بُدّ له من مُدبّرٍ حكيم, قدير, عليم, من أنكرهُ فهو: إمّا فاقد لعقله , أو مُكابِر قد ألغى عقله, و سفه نفسه, و هذا لا عبرة به .

الفصلُ الثاني: الشركُ , تعريفه , أنواعه

أ. تعريفه: الشركُ هو جعلُ شريكٍ للهِ تعالى في ربوبيته و عبادته , و الغالبُ الإشراكُ في عبادته بأنْ يدعو مع الله غيره أو يصرف له شيئاً من أنواعِ العبادة كالذبح والنذر و الخوف و الرجاء و المحبة ؛ و الشركُ أعظمُ الذنوب و ذلك لأمور:

٠١ - لأنّه تشبيهٌ للمخلوق بالخالق في خصائص الإلهية , فمن أشرك مع الله أحداً فقد شبهه به, و هذا أعظمُ الظُلم , قال تعالى : { **إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** }[3] ؛ و الظُلمُ هو وضعُ العبادة في غيرِ موضعها , و صرفها لغيرِ مُستحقّها, و ذلك أعظمُ الظُلم .

٠٢ - أنّ الله أخبر أنّه حرّم الجنّة على المُشرك, و أنّه خالدٌ مخلّدٌ في نارِ جهنم – قال تعالى : { **إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ** }[4] .

---

[1] النمل: ١٤

[2] يُسمّى بقانون السببية: أيْ إنّ كلَّ حادثٍ لا بدّ له من سببٍ يُحدِثه ؛ فلا يَقعُ شيءٌ من العَدَمْ بلا علّة، ولا يَحدُثُ أثرٌ دون مؤثّر.

[3] لقمان: ١٣

[4] المائدة: ٧٢

٠٣ - أنّ الله أخبر أنّه لا يغفرُ لمن لم يتُب منه – قال تعالى : { **إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ** }[١] .

٠٤ - أنّ الشركَ يُحبط جميعَ الأعمال – قال تعالى : { **وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ** }[٢] , و قال تعالى : { **وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** }[٣] .

٠٥ - أنّ المُشرك حلال الدم و المال – قال تعالى : { **فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ** }[٤] , و قال النبي ﷺ : { أُمِرْتُ أن أقاتلَ الناسَ حتى يشهدوا أن لا إله إلا اللهُ ويُقِيمُوا الصلاةَ، ويؤْتُوا الزكاةَ، ثم حُرِّمَتْ عَلَيَّ دماؤُهم وأموالُهم، وحسابُهم على اللهِ }[٥] .

٠٦ – أنّ الشركَ أكبرُ الكبائر – قال ﷺ : { أَلا أُنَبِّئُكُمْ بأَكْبَرِ الكَبائِرِ قُلْنا: بَلَى يا رَسولَ اللَّهِ، قالَ: الإشْراكُ باللَّهِ، وعُقُوقُ الوالِدَيْنِ }[٦] – قال العلّامة ابنُ القيّم[٧] : { أخبرَ سُبحانه أنّ القصدَ بالخلق و الأمر أن يُعرف بأسمائهِ و صِفاتِه, و يُعبد وحدهُ لا يُشرك به , و أن يقومَ الناسُ بالقسط , و هو العدل الذي قامت به السماوات و الأرض , كما قال تعالى : { **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ** }[٨] ؛ فالشركُ أظلمُ الظُلم , و التوحيدُ أعدلُ العدل. فإنّ المُشرك أجهل الجاهلين بالله ؛ حيثُ جعل له من خَلقِهِ نداً , و ذلك غاية الجهل به – كما أنّه غاية الظُلم منه – و إن كان المُشرك في الواقع لم يظلم ربهُ , و إنّما ظلم نفسه } – انتهى .

---

[١] المائدة: ٤٨

[٢] الأنعام: ٨٨

[٣] الزمر: ٦٥

[٤] التوبة: ٠٥

[٥] أخرجه ابن خزيمة (٢٢٤٨) واللفظ له، وأخرجه البخاري (٢٩٤٦)، ومسلم(٢١)

[٦] أخرجه مسلم (٨٧)، والترمذي (١٩٠١)، وأحمد (٢٠٣٨٥)

[٧] الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص ١٠٩)

[٨] الحديد: ٢٥

٠٧ – أن الشرك تَنقّص و عيبٌ نزّه الربّ نفسه عنهما – فمن أشرك بالله فقد أثبت لله ما نزّه نفسه عنه , و هذا غاية المُحادّة للهِ تعالى , و غاية المُعاندة و المُشّاقة لله .

ب. أنواع الشرك: الشركُ نوعان:

النوعُ الأول: شركٌ أكبر يُخرِجُ من الملّة , و يخْلُدُ صاحبه في النّار إذا مات و لم يَتُب منه – و هو صَرفُ شيئ من أنواع العبادة لغير الله – كدُعاء غير الله و التقرّب بالذبائح و النذور لغير الله من القبور و الجنّ و الشياطين – و رجاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلّا الله من قضاء الحاجات و تفريج الكُربات مما يُمارسُ الآن حول الأضرحة المبنية على قبور الأولياء الصالحين .

النوع الثاني: شركٌ أصغر لا يُخرِجُ من الملّة , لكنّه يُنقص التوحيد , و هو وسيلة إلى الشرك الأكبر – و هو قِسمان:

القِسمُ الأول: شركٌ ظاهِر , و هو ألفاظٌ و أفعال ؛ فالألفاظُ كالحلف بغير الله – قال رسول الله ﷺ : { **منْ حلفَ بغيرِ اللهِ فقدْ أشركَ** }[١] – و قوله ما شاء الله و شئت – قال ﷺ لمّا قال رجلٌ : ما شاء اللهُ و شِئْتْ , فقال : { أجعلتَني للهِ ندًّا؟ ما شاء اللهُ وحدَهُ }[٢] .

و أمّا الأفعال: فمثل لبس الحلقة و الخيط لرفع البلاء أو دفعه, و مثل تعليق التمائم خوفاً من العين و غيرها , إذا إعتقد أن هذه أسباب لرفع البلاء أو دفعه, فهذا شركٌ أصغر, لأنّ الله لم يجعل هذه أسباباً, أمّا إن إعتقد أنّها تدفع أو ترفع البلاء بنفسها فهذا شركٌ أكبر, لأنّه تعلّق بغير الله .

القسمُ الثاني: شركٌ خفيٌ, و هو الشركُ في الإرادات و النيّات – كالرياء و السمعة – كأن يعمل عملاً مما يُتقرب به إلى الله, يُريدُ به ثناء الناس عليه – كأن يُحسن صلاته أو يتصدق لأجل أن يُمدح و يُثنى عليه, فالرياءُ إذا خالط العمل أبطله – قال الله تعالى : { **فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ**

---

[١] أخرجه أبو داود (٣٢٥١)، وأحمد (٦٠٧٣) واللفظ لهما بقصة في أوله، وأخرجه الترمذي(١٥٣٥)

[٢] أخرجه أحمد (١٨٣٩)، وابن أبي شيبة (٢٦٦٩١)، والطبراني (١٢/ ٢٤) , (١٣٠٠٥)

بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا }[1] , و قال النبي ﷺ : { **تَعِسَ عبدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ** }[2] - قال الإمامُ ابن القيّم - رحمه الله : { و الإخلاصُ أن يُخلص لله في أفعاله و أقواله و إرادته و نيته , و هذه هي الحنيفيّة ملة إبراهيم التي أمر الله بها عباده كلّهم , و لا يقبل من أحد غيرها , و هي حقيقة الإسلام }[3] .

يتلخّص مما مر أنّ هناك فروقاً بين الشرك الأكبر و الأصغر و هي:

١ - الشركُ الأكبر يُخرِجُ من الملّة - و الشركُ الأصغر لا يُخرج من الملّة .

٢ - الشركُ الأكبر يَخْلُدُ صاحبه في النار - و الشرك الأصغر لا يخلدُ صاحبه فيها إن دخلها .

٣ - الشركُ الأكبر يُحبط جميع الأعمال - و الشركُ الأصغر لا يُحبط جميع الأعمال, و إنّما يُحبط الرياءُ و العملُ لأجل الدنيا العملَ الذي خالطاهُ فقط .

٤ - الشركُ الأكبر يبيح الدم و المال - و الشركُ الأصغر لا يُبيحهما .

الفصلُ الثالثُ: الكُفر , تعريفهُ , أنواعهُ

أ. تعريفه: الكُفر في اللغة التغطيةُ و السِتر - و الكُفر شرعاً: ضدُ الإيمان - فإنّ الكُفرَ عدمُ الإيمان بالله و رُسُله - سواء كان معه تكذيبٌ أو لم يكن معه تكذيب, بل شكٌّ و ريبٌ أو إعراض أو حسد أو كِبرْ أو إتّباع لبعض الأهواء الصادّة عن إتّباع الرسالة. و إن كان المُكذّب أعظم كُفراً, و كذلك الجاحد المُكذّب حَسَداً مع إستيقان صدق الرُسُل[4] .

---

[1] الكهف: ١١٠

[2] أخرجه البخاري (٢٨٨٧) باختلاف يسير

[3] الجواب الكافي (ص ١١٥)

[4] مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٢ - ٣٣٠)

ب. أنواعه: الكُفر نوعان:

النوعُ الأول: كُفرٌ أكبر يُخرج من الملّة , و هو خمسة أقسام:

القسمُ الأول: **كُفر التكذيب** - و الدليل قوله تعالى : { **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ** }[1] .

القسمُ الثاني: **كُفرُ الإباء و الإستكبار مع التصديق** - و الدليل قوله تعالى : { **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ** }[2] .

القسمُ الثالث: **كُفرُ الشّك - و هو كُفر الظّن** - و الدليل قوله تعالى : { **وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا (٣٦) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا** }[3] .

القسمُ الرابع: **كُفر الإعراض** - والدليل قوله تعالى : { **وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ** }[4] .

القسمُ الخامس: **كُفر النفاق** - والدليل قوله تعالى : { **ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ** }[5] .

النوعُ الثاني: كُفرٌ أصغر لا يُخرجُ من الملّة, و هو الكُفر العملي - و هو الذنوب التي وردت تسميتها في الكتاب و السنّة كُفراً, و هي لا تصل إلى حد الكُفر الأكبر - مثل كُفر النعمة المذكور في قوله تعالى : { **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ** }[6] , و مثلُ قتال المُسلم

---

[1] العنكبوت: ٦٨

[2] البقرة: ٣٤

[3] الكهف: ٣٥ - ٣٧

[4] الأحقاف: ٠٣

[5] المنافقون: ٠٣

[6] النحل: ١١٢

المذكور في قوله ﷺ : { **لا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ** }[1] , و مثلُ الحلفِ بغيرِ الله قال ﷺ : { **منْ حلفَ بغيرِ اللهِ فقدْ أشركَ** }[2] - فقد جعل الله مُرتكب الكبيرة مُؤمناً , قال تعالى: { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى** }[3] ؛ فلم يُخرِج القاتل من الذين آمنوا, و جعله أخاً لولي القصاص فقال : { **فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ** } , و المُرادُ أخوّةُ الدين بلا ريب - و قال تعالى : { **وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا** }[4] .

و مُلخّصُ الفرقِ بين الكُفر الأكبر و الكُفر الأصغر:

١ - أنّ الكُفر الأكبر يُخرجُ من الملة و يُحبط الأعمال , و الكُفر الأصغر لا يُخرجُ من الملة و لا يُحبط الأعمال , لكن يُنقصها بحسبه, و يُعرّضُ صاحبها للوعيد .

٢ - أنّ الكُفر الأكبر يُخلّد صاحبه في النار , و الكُفر الأصغر إذا دخل صاحبه النار فإنّه لا يخلدُ فيها , و قد يتوب الله على صاحبه فلا يُدخله النار أصلاً .

٣ - أنّ الكُفر الأكبر يُبيحُ الدم و المال , و الكفر الأصغر لا يُبيح الدم و المال .

٤ - أنّ الكُفر الأكبر يوجب العداوة الخالصة بين صاحِبه و المُؤمنين , فلا يجوز مُوالاته ولو كان أقرب قريب , و أمّا الكُفر الأصغر فإنّه لا يمنع المُوالاة مُطلقاً, بل يُوالى بقدر ما فيه من الإيمان, و يُعادى بقدرِ ما فيه من عصيان .

---

[1] أخرجه مسلم (٦٥)، والنسائي (٤١٣١)، وابن ماجه(٣٩٤٢)

[2] سبق تخريجه , ص ٠٩

[3] البقرة: ١٧٨

[4] الحجرات: ٠٩

أ. تعريفه:

النفاقُ لغة – مصدر: نافق – يُقال: نافَقَ يُنافِقُ نِفاقاً و مُنافَقَةً ؛ و هو مأخوذٌ من النافِقاء: أحدُ مخارج اليربوع من جحره, فإنّه إذا طُلِبَ من واحد هربَ إلى الآخر و خرج منه – و قيل هو من النفق و هو السرب الذي يستتر فيه[١] .

أمّا النِفاقُ في الشرعِ فمعناهُ إظهارُ الإسلام و إبطانُ الكُفر و الشر , سمي بذلك لأنّه يدخل في الشرع من باب ؛ و يخرجُ من باب آخر , و على ذلك نبّه الله تعالى بقوله : { **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** }[٢] أيْ الخارجونَ من الشرع[٣] . و جعلَ الله المُنافقين شراً من الكافرينَ فقال: { **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ** }[٤] , و قال تعالى : { **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ** }[٥]

ب. أنواعُ النفاق:

النفاقُ نوعان: النوع الأول: النفاقُ الإعتقادي, و هو النفاق الأكبر الذي يُظهر صاحبه الإسلام و يُبطنُ الكُفر – و هذا النوع مُخرج من الدين بالكلية , و صاحبه في الدرك الأسفل من النار – و قد وصف الله أهله بِصفات الشر كُلّها: من الكُفر و عدم الإيمان, و الإستهزاء بالدين و أهله , و السخرية منهم, و الميلُ بالكلية إلى أعداء الدين لِمشاركتهم لهم في عداوة الإسلام – و هؤلاءِ موجودونَ في كل زمان و لا سيما عندما تظهر قوة الإسلام ولا يستطيعون مُقاومته في الظاهِر ؛ فإنّهم يُظهرونَ الدخولَ فيه لأجلِ الكيدِ له و

---

[١] النهاية لابن الأثير (٠٥ / ٩٨) بمعناه.

[٢] التوبة: ٦٧

[٣] و ذلك لأنّ الفِسقَ لغةً يعني الخروج عن الشيء , ويستخدم أيضاً للدلالة على الخروج من القشر كما يقال "فسقت الرطبة" (خرجت من قشرها) أو "فسقت الفأرة" (خرجت من جحرها).

[٤] النساء: ١٤٥

[٥] النساء: ١٤٢

لأهلهِ في الباطِن, فإنّ بليّة الإسلام بهم شديدة جداً لأنّهم منسوبون إليه و إلى نُصرته و مُوالاته و هم أعداؤه في الحقيقة , يُخرجون عداوتهم في كل قالب[1] .

و هذا النِفاقُ ستةُ أنواع[2] :

١ - تكذيبُ الرسول ﷺ .

٢ - تكذيبُ بعض ما جاء به الرسول ﷺ .

٣ - بُغضُ الرسول ﷺ .

٤ - بُغض بعض ما جاء به الرسول ﷺ .

٥ - المسرّة بإنخفاض دين الرسول ﷺ .

٦ - الكراهية لإنتصار دين الرسول ﷺ .

النوع الثاني: النِفاقُ العملي - و هو عملُ شيء من أعمال المُنافقين مع بقاء الإيمان في القلب , و هذا لا يُخرج من الملّة - لكنّه وسيلة إلى ذلك , و صاحبه يكونُ فيه إيمانٌ و نفاق و إذا كَثُر صارَ بسببه مُنافقاً خالصاً , و الدليلُ عليه قوله ﷺ : { أَرْبَعٌ مَن كُنَّ فيه كانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، ومَن كَانَتْ فيه خَصْلَةٌ منهنَّ كَانَتْ فيه خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حتَّى يَدَعَهَا: إذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وإذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وإذَا خَاصَمَ فَجَرَ }[3] .

---

[1] من رسالة إبن القيّم في بيان صفات المنافقين .

[2] مجموعة التوحيد النجدية (ص ٠٩)

[3] أخرجه البخاري (٢٤٥٩)، ومسلم (٥٨)

١. الجاهلية: هي الحال التي كان عليها العرب قبل الإسلام من: الجهلِ بالله و رُسُله و شرائع الدين, و المُفاخرة بالأنساب, و الكِبر, و التجبّر و غيرِ ذلك[١] ؛ نسبةً إلى الجهل الذي هو عدمُ العلمِ أو عدمُ اتّباع العلم , قال شيخُ الإسلام ابنُ تيمية : { فإنّ من لم يعلمِ الحق فهو جاهِلٌ جهلاً بسيطاً , فإن إعتقد خلافهُ فهوَ جاهلٌ جهلاً مُركّب ؛ فإن تبيّن ذلك؛ فالناسُ قبل بعثة الرسول ﷺ كانوا في جاهلية منسوبة إلى الجهل , و تلك كانت جاهلية عامة – فأمّا بعد مبعث الرسول ﷺ قد تكون في مصر دون مصر[٢] , كما هي في دار الكفّار , و قد تكون في شخص دونَ شخص }[٣] .

٢. الفِسق: لغةً هو الخروجُ – أمّا شرعاً: الخروجُ من طاعة اللهِ و يشملُ الخروج الخروج الكلي, فيُقال للكافر: فاسق , و الخُروجُ الجزئي فيُقال للمؤمن مُرتكب لكبيرة من كبائر الذنوب: فاسِق , فالفِسقُ فِسقان: فسقٌ ينقل عن الملّة وهو الكُفر , فيُسمى الكافر فاسقا , و يُسمى العاصي من المسلمين فاسقاً , و لم يُخرجه فسقه من الإسلام .

٣. الضِلال: هو العدول عن الطريق المُستقيم , و هو ضد الهِداية, قال تعالى : { **مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا** }[٤] , و الضلالُ يُطلق على عدة معانٍ: كالكُفر, و الشرك, و المعصية, و الخطأ, و النسيان[٥] .

---

[١] النهاية لإبن الأثير , (١ / ٣٢٣)

[٢] المِصْر: (بكسر الميم) لغةً تعني المدينة، القُطْر .

[٣] إقتضاء الصراط المستقيم (١ / ٢٢٥)

[٤] الإسراء: ١٥

[٥] بإختصار, انظر كتاب التوحيد للشيخ – رحمهُ الله (ص ٢٧)

٤ - الرِدّة و أقسامها و أحكامها: الرِدّةُ لغةً هي الرجوع, قال تعالى : { **وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ** }[١] ؛ أيْ لا ترجِعوا – و الردّة في الإصطلاح الفقهي: هي الكفر بعد الإسلام – قال تعالى : { **وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** }[٢] .

أقسامها: الردّة تحصل بإرتكاب ناقض من نواقض الإسلام و نواقض الإسلام كثيرة ترجع إلى أربعة أقسام هي:

١- الرِدّة بالقول: كسبِّ الله تعالى أو رسوله ﷺ أو ملائكته أو أحد من رسله, أو إدّعاء علم الغيب, أو إدّعاء النبوة, أو تصديق من يدّعيها, أو دُعاءُ غير الله , أو الإستعانة به فيما لا يقدر عليه إلاّ الله, أو الإستعاذةُ به في ذلك .

٢- الرِدّة بالفعل: كالسجود للصنم و الشجر و الحجر و القبور و الذبح لها, و إلقاء المُصحف في المواطن القذرة و عمل السحر و تعلمه و تعليمه و الحُكم بغير ما أنزل الله مُعتقداً حلّهُ .

٣- الرِدّة بالإعتقاد: كإعتقاد الشريكِ لله, أو أنّ الزنا و الخمر و الربا حلال, أو أنّ الصلاة غيرُ واجبة, و نحو ذلك مما أجمع على حله أو حُرمته أو وجوبه إجماعاً قطعياً و مثله لا يجهله .

٤- الرِدّة بالشكّ في شيء مما سبق: كمن شكّ في تحريم الشرك أو تحريم الزنا و الخمر – أو شك في رسالة النبي ﷺ أو رِسالة غيره من الأنبياء أو صدقه أو في دين الإسلام أو في صلاحيته لهذا الزمان .

---

[١] المائدة: ٢١

[٢] البقرة: ٢١٧

أحكام الرِدّة بعد ثبوتها:

١. إستتابة المُرتّد[١] – فَإِنْ تَابَ و رَجَع إلى الإسلام في خِلالِ ثَلاثَة أيام قُبل منه ذَلك و تُرك .

٢. إذا أبى أن يتوبَ وَجَب قَتْلُه لقول الرسول ﷺ : { من بدّل دينهُ فاقتلوه }[٢] .

٣. إنقطاعُ التوارث بينه و بين أقاربه فلا يَرِثهم و لا يرثونه .

٤. إذا ماتَ أو قُتِل على ردته فإنّه لا يُغسّل و لا يُصلى عليه و لا يُدفن في مقابر المُسلمين .

البابُ الثاني: أقوال و أفعال تُنافي التوحيد

الفصلُ الأول: إدّعاء علم الغيب و قِراءة الكف و الفِنجان و التنجيم

الغَيبُ هو ما غابَ عن الناس من أمور المُستقبل و الماضي و ما لا يرونه, و قد إختصّ الله تعالى بعِلمه, و قال تعالى : {**قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ**}[٣] , فلا يعلمُ الغيبَ إلّا الله سُبحانه وحده, و قد يُطلِعُ رُسُله على ما شاء من غيبه لحكمة و مصلحة, قال تعالى : { **عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ** }[٤] , أيْ لا يَطّلع على شيء من الغيب إلا من اصطفاه لِرسالته, فيُظهره على ما يشاء من الغيب , لأنّه يستدل على نبوّته بالمُعجزات التي مِنها الإخبار عن الغيب الذي يُطلعه اللهُ عليه. فمن إدّعى عِلم الغيب بأي وسيلة من الوسائل غير من استثناه الله من رُسُلِه فهو كاذبٌ كافرٌ سواء كان ذلك بواسطة قراءة الكف أو الفنجان أو الكهانة أو السحر ـ و هذا ما يحصلُ من المُشعوذين و

---

[١] استتابة المرتد: هي طلبُ رجوعِ من ثبتت ردّتُه عن الإسلام إلى الدِّين الحقّ، بدعوتِه إلى التوبة وإزالة ما عرض له من شبهة، وذلك قبل إقامة الحدّ عليه من قِبَل وليّ الأمر. وتكون توبتُه بإظهار الرجوع إلى الإسلام، بالنطق بالشهادتين والتبرؤ من موجب الرِّدّة، فإذا تاب قُبِلَت توبتُه.

[٢] أخرجه البخاري (٣٠١٧)

[٣] النمل: ٦٥

[٤] الجن: ٢٦ - ٢٧

الدجّالين من الأخبار من مكان الأشياء المفقودة, و أسباب بعض الأمراض , أو قد يكون إخبارهم عن ذلك عن طريق التنجيم – و هو الإستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية: كأوقات هبوب الرياح و مجيء المطر و تغير الأسعار , و يقولونَ من تزوج بنجم كذا حصل له كذا و من ولد بنجم كذا حصل له كذا ؛ **فمن إدعى علمَ الغيب أو صدّق من يدعيه فهو مُشركٌ كافر, لأنّه يدّعي مُشاركة الله فيما هو من خصائصه .**

الفصلُ الثاني: السِحر و الكهانة و العِرافة

و كُل هذهِ الأمور أعمالٌ شيطانية مُحرّمة , تُخِل بالعقيدة أو تُناقِضها لأنّها لا تحصل إلّا بأمور شركية.

١- السِحرُ: سميَ سحراً, لأنّه يحصل بأمور خفية لا تُدركُ بالأبصار – و هو عزائمٌ و رُقى و كلام يتُكَلم بِه و أدوية و تدخيناتٌ, و له حقيقة. و منه ما يُؤثر في القلوب و الأبدان فيُمرض و يقتل و يُفرق بين المرء و زوجه و تأثيره بإذن الله الكوني القدري – و هو عمل شيطاني قَرَنهُ الشارِعُ بالشِرك حيث يقول النبي ﷺ : { **اجتَنِبوا السَّبْعَ المُوبِقاتِ. قيل: يا رَسولَ اللهِ، وما هُنَّ؟ قال: الشِّركُ باللهِ، والسِّحرُ** }[1] ؛ فهو داخلٌ في الشرك من ناحيتين:

١- ما فيه من إستخدام الشياطين و التعلق بهم و التقرب إليهم بما يُحبونه ليقوموا بخِدمة الساحر, فالسحر من تعليم الشياطين – قال تعالى : { **وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ** }[2] .

---

[1] أخرجه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩) باختلاف يسير

[2] البقرة: ١٠٢

٢- ما فيه من دعوى علم الغيب و دعوى مُشاركة الله في ذلك, و هذا كُفرٌ و ضلال , قال تعالى : { **وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ** } أي نصيب و إذا كان كذلك فلا شك أنه كُفر و شرك يُناقض العقيدة و يجب قتل مُتعاطيه , كما قَتَل جماعة من أكابر الصحابة رضي الله عنهم[١] .

٢- الكِهانة و العِرافة: و هي إدعاء علم الغيب و معرفة الأمور الغائبة: كالإخبار بما يقع في الأرض و ما سيحصل, و أين مكان الشيء المفقود. و ذلك عن طريق إستخدام الشياطين الذين يسترقون السمع من السماء, قال تعالى : { **هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٢٢٢) يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ** }[٢] , و ذلك أن الشيطان يسترق الكلمة من كلام الملائكة, فيلقيها في أذن الكاهن, و يكذب الكاهن مع هذه الكلمة مائة كذبة, فيُصدقه الناس .

الفصلُ الثالث: تقديمُ القرابين و النذور للمزارات و القبور و تعظيمها

لقد سدّ النبي ﷺ كل الطرق المفضية إلى الشرك, و حذّر منها غاية التحذير, و من ذلك مسألة القبور, فوضع الضوابط الواقية من عبادتها, والغلو في أصحابها من الأولياء الصالحين لأن ذلك يُؤدي إلى عِبادتهم فقال : { **إياكم والغلوَّ في الدينِ فإنما أهلَك مَن كان قبلَكم الغلوُّ في الدينِ** }[٣] و قال : { **لا تطرُوني كما أطرتِ النصارَى ابنَ مريمَ إنما أنا عبدٌ فقولوا عبدُ اللهِ ورسولُه** }[٤] ؛ كما حذّر من البناء على القبور – كما روى أبو الهياج الأسدي قال: { قالَ لي عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ: **أَلَا أَبْعَثُكَ علَى ما بَعَثَنِي عليه رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ؟ أَنْ لا تَدَعَ تِمْثَالًا إلَّا طَمَسْتَهُ، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إلَّا سَوَّيْتَهُ** }[٥] , و نهى عن تجصيصها و البناءِ عليها , عن جابر رضي

[١] رُوِي عن عمرو بن دينارٍ: **أنَّه سَمِع بَجَالةَ يقولُ: كتَب عُمَرُ أن اقتُلوا كلَّ ساحرٍ وساحرةٍ، فقتَلْنا ثلاثَ سواحِرَ**. أخرجه الشافعي في ((المسند)) (٣٨٣)، وابن أبي شيبة (٢٨٩٨٢)، والبزار (١٠٦٠)، والبيهقي (١٦٥٧٦)

[٢] الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٣

[٣] أخرجه النسائي (٣٠٥٧)، وابن ماجه (٣٠٢٩) مطولاً، وأحمد (١٨٥١)

[٤] أخرجه البخاري (٣٤٤٥)، وأحمد (١٥٤)، وابن حبان (٦٢٣٩)

[٥] أخرجه أحمد (٧٤١)، واللفظ له، وأبو داود (٣٢١٨)، والترمذي(١٠٤٩)

الله عنه قال : { **نَهَى رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ أَنْ يُجَصَّصَ القَبْرُ، وَأَنْ يُقْعَدَ عليه، وَأَنْ يُبْنَى عليه.** }[1] , و حذّر النبي ﷺ من الصلاة عند القبور , عن عائشة رضي الله عنها قالت : { لَمَّا نَزَلَ بِرَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً له علَى وجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ بهَا كَشَفَهَا عن وجْهِهِ، **فَقالَ وهو كَذلكَ: لَعْنَةُ اللَّهِ علَى اليَهُودِ والنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ يُحَذِّرُ ما صَنَعُوا.**}[2] , و إتخاذها مسجد معناه الصلاة عندها و إن لن يُبنَ مسجد عليها , و قد خالف أكثر الناس هذه النواهي, فارتكبوا ما حذّر منه النبي ﷺ فوقعوا بسبب ذلك في الشرك الأكبر, فبنوا على القبور مساجد و أضرحة و مقامات, و جعلوها مزارات تُمارسُ عندها كل أنواع الشرك الأكبر – و قد قال النبي ﷺ : { **اللَّهمَّ لا تَجْعَلْ قَبْري وَثَنًا، لعَنَ اللهُ قَوْمًا اتَّخَذوا قُبورَ أَنْبِيائِهم مَساجِدَ.** }[3] ؛ و ما دعا بهذا الدُعاء إلّا لأنّه سيحصل شيء من ذلك في غير قبره , و قد حصل في كثير من بلاد الإسلام .

الفصلُ الرابع: حُكم التماثيل و النُصب التذكارية

التماثيل: هي جمعُ تِمثال – و هو الصورة المُجسمة على شكل إنسان أو حيوان أو غيرهما مما فيه روح – و النُصُب في الأصل: العَلَم و أحجار كان المُشركون يذبحون لإحياء ذِكرى زعيم أو مُعظّم على صورهم.

و لقد حذّر النبي ﷺ من تصوير ذواتِ الأرواح, و لا سيما تصوير المُعظّمين من البشر: كالعُلماء و الملوك و العُبّاد و القادة و الرُؤساء, سواءَ كان هذا التصوير عن طريق رسم الصورة على لوحة أو ورقة أو جِدار أو ثوب, أو عن طريق الإلتقاط بالآلة الضوئية المعروفة في هذا الزمان, أو عن طريق النحت و بناء الصورة على هيئة تمثال, و نهى النبي ﷺ عن تعليق الصور على الجُدران و نحوها, وعن نصب التماثيل لأن ذلك وسيلة إلى الشرك ؛ فإنّ أول شرك حدث في الأرض كان بسبب التصوير و نصبها, و ذلك أنّه كان في قوم

[1] أخرجه مسلم (٩٧٠)، وأبو داود (٣٢٢٥)، والترمذي (١٠٥٢)
[2] أخرجه البخاري (٤٣٥) .
[3] أخرجه البخاري (٤٣٧)، ومسلم (٥٣٠)

نوح رجالٌ صالحون, فلمّا ماتوا حزن عليهم قومهم, فأوحى إليهم الشيطان أن إنصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يَجلسون فيها أنصاباً و سموها بأسمائهم ففعلوا و لم تُعبد, حتى إذ هلك أولئك و نُسي العَلَمُ عُبِدت[1] .

الفصلُ الخامس: حُكم الإستهزاء بالدين و الإستهانة بحُرماته

الإستهزاء بالدين ردّة عن الإسلام, و خروج عن الدين بالكلية, قال الله تعالى : { **قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ** }[2]

هذه الآية: تدل على أن الإستهزاء بالله كُفرٌ, و أن الإستهزاء بالرسول كفرٌ, و أن الإستهزاء بآيات الله كفرٌ, فمن إستهزأ بواحد من هذه فهو مُستهزئٌ بجميعها, و الذي حصل من هؤلاء المُنافقين أنهم إستهزءوا بالرسول و صحابته فنزلت الآية, و الإستهزاءُ نوعين:

أحدُهما: الإستهزاءُ الصريح كالذي نزلت الآية فيه و هو قولهم إذا رأى الآمرين بالمعروف و الناهين عن المنكر: جاءكم أهل الدين, أو قولهم أن مذهبكم هذا مذهبٌ خامِس, من باب السخرية بهم .

النوع الثاني: الإستهزاء الغير الصريح, و هو البحر الذي لا ساحل له - مثل الرمز بالعين و إخراج اللسان و مد الشفة, و الغمز باليد عند تلاوة كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ و عند الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر , و كذلك قول بعضهم: إنّ الإسلام لا يصلح للقرن العشرين - و إنما يصلح للقرون الوُسطى , و أنّه تأخرٌ و رجعية , و أنه ظلم المرأة في حقوقها حيث أباح الطلاق و تعدد الزوجات ؛ و قولهم: الحُكم بالقوانين الوضعية أحسن للناس من الحُكم بالإسلام, و يقولونَ في الذي يدعوا إلى التوحيد و يُنكر عبادة القُبور و الأضرحة: هذا مُتطرف, أو يُريد أن يُفرّق جماعة المُسلمين , و ما أشبه هذه الأقوال التي كُلّها سب للدين و أهله و إستهزاء بالعقيدة الصحيحة و لا حول و لا قوة إلا بالله .

[1] أخرجه البُخاري في حديث ابن عباس (٤٩٢٠)

[2] التوبة: ٦٥ - ٦٦

إن من مُقتضى الإيمان بالله تعالى و عبادته الخُضوع لحكمه و الرِضا بشرعه و الرجوع إلى كتابه و سنة رسوله عند الإختلاف في الأقوال و في الأصول و في الخصومات و الدماء و الأموال و سائر الحقوق, فإنّ الله هو الحَكَم و إليه الحُكم, فيجب على الحُكام أن يحكموا بما أنزل الله, و يجب على الرعية أن يتحاكموا إلى ما أنزلَ الله في كتابه و سنة رسوله, قال تعالى في حق الولاة : { **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ** }[1] , و قال في حق الرعية : { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا** }[2] , ثم بيّن أنه لا يجتمع الإيمان مع التحاكم إلى غير ما أنزل الله, فقال الله تعالى : { **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا** }[3] إلى قوله تعالى : { **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** }[4] فنفى سُبحانه - نفياً مُؤكداً بالقسم - الإيمان عمّن لم يتحاكم إلى الرسول ﷺ و يرض بحُكمه و يُسَلّم له - كما أنّه حكم بكُفر الولاة الذين لا يحكمون بما أنزل الله و بظلمهم و فسقهم, قال تعالى : { **وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ** }[5] , { **وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** }[6] , { **وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** }[7] ؛ فلا بُدّ من الحُكم بما أنزل الله و التحاكم إليه في جميع مواد النِزاع في الأقوال الإجتهادية بين العُلماء , فلا يُقبل منها إلّا ما دلّ عليه الكتاب و السنة من غير تعصب لمذهب و لا تحيز لإمام - فمن خالف ذلك فهو ممن قال الله

---

١ النساء: ٥٨

٢ النساء: ٥٩

٣ النساء: ٦٠

٤ النساء: ٦٥

٥ المائدة: ٤٤

٦ المائدة: ٤٥

٧ المائدة: ٤٧

فيهم : { **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ** }[١] , فليست الآية خاصة بالنصارى, بل تتناول كل من فعل مثل فعلهم , فمن خالف ما أمر الله به و رسوله ﷺ بأن حكم بين الناس بغير ما أنزل الله, أو طلب ذلك إتباعاً لما يهواه و يريده, فقد خلع ربقة الإسلام و الإيمان من عنقه, و إن زعم أنه مُؤمن فإنّ الله أنكر على من أراد ذلك و أكذبهم في زعمهم الإيمان لما في قوله: { يَزْعُمون } فإنما تُقال غالباً لمن إدعى دعوى هو فيها كاذب لمُخالفته لموجبها و عمله بما يُنافيها , لأنّ الكُفر بالطاغوت ركنُ التوحيد , كما في آية البقرة[٢] , فإذا لم يحصل هذا الركن لم يكن موحِداً , و نفي الإيمانِ عمن لم يحكم بما أنزل الله يدل على أن تحكيم شرع الله إيمانٌ و عقيدة و عبادة لله, يجب أن يدين بها المسلم .

حكمُ من حكَم بغير ما أنزل الله:

قال الله تعالى : { **وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ** }[٣] في هذه الآية الكريمة أن الحكم بغير ما أنزل الله كُفر, و هذا تارة يكون كُفراً أكبر ينقل عن الملة, و تارة يكون كُفراً أصغر لا يُخرج من الملة, و ذلك بحسب حال الحاكم, **فإنه إن إعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجب, و أنّه مخيّر فيه, أو إستهان بحكم الله, و إعتقد أن غيرهُ من القوانين و النُظم الوضعية أحسن منه, و أنه لا يصلح لهذا الزمان, أو أراد بالحُكم بغير ما أنزل الله إسترضاء الكفّار و المنافقين فهذا كُفر أكبر.** أمّا إن إعتقد وجوب الحُكم بما أنزل الله و علمه في هذه الواقعة و عدل عنه مع إعترافه بأنه مستحق للعقوبة فهذا عاصٍ, و يُسمى كافراً كُفراً أصغر, و إن جهل حكم الله فيه مع بذل جُهده و إستفراغ وسعه في معرفة الحُكم ة أخطأه فهذا مُخطئ, له أجر على إجتهاده و خَطؤهُ مغفور[٤] , و هذا في الحُكم في القضية الخاصة , و أمّا الحُكم في القضايا العامة فإنّه يختلف , قال شيخ الإسلام ابن تيمية : { و لا ريب أن من لم يعتقد وجوب الحُكم بما أنزل الله على رسوله فهو كافر, فمن إستحل أن يحكم بين الناس بما يراه هو عدلاً من غير إتّباع لما أنزل الله فهو كافر, فإنّه ما من أمّة إلّا و هي تأمر بالحكم

---

[١] التوبة: ٣١

[٢] يعني قوله تعالى : { فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }

[٣] المائدة: ٤٤

[٤] شرح الطحاوية (ص ٣٦٣)

بالعدل, و قد يكون العدل في دينها ما يراه أكابرهم, بل كثير من المُنتسبين إلى الإسلام يحكمون بعاداتهم التي لم يُنزلها الله كسواليف البادية (أي عادات من سلفهم) و كانوا الأمراء المُطاعين, ويرون أن هذا هو الذي ينبغي الحُكم به دون الكِتاب و السنة و هذا هو الكُفر ، فإن كثيراً من الناس أسلموا و لكن لا يحكمون إلّا بالعادات الجارية التي يأمر بها المُطاعون, فهؤلاء إذا عرفوا أنّه لا يجوز لهم الحُكم إلا بما أنزل الله فلم يلتزموا ذلك, بل إستحلّوا أن يحكموا بخِلاف ما أنزل الله فهُم كُفّار }[1]

و قال الشيخ مُحمد بن إبراهيم آل الشيخ – رحمه الله : { **و أمّا الذي قيل فيه: إنّه كفرٌ دون كفر إذا حاكم إلى غير الله مع إعتقاد أنّه عاصٍ و أنّ حُكم الله هو الحق, فهذا الذي يصدر منه المرّة و نحوها, أمّا الذي جعل قوانين بترتيب و تخضيع فهو كفرٌ و إن قالوا أخطأنا و حكم الشرع أعدل , فهذا كُفرٌ ناقل عن الملّة** }[2] ؛ **ففرّق رحمه الله بين الحُكم الجزئي الذي لا يتكرر و بين الحُكم العام الذي هو المرجع في جميع الأحكام أو غالبها,** و قرر أنّ هذا الكُفر ناقل عن الملّة مُطلقاً , و ذلك لأنّ من نحّى الشريعة الإسلامية , و جعل القانون الوضعي بديلاً منها فهذا دليل على أنّه يرى القانون أحسن و أصلح من الشريعة, و هذا لا شك أنّه كُفرٌ أكبر يُخرج من الملّة و يُناقض التوحيد[3] .

---

[1] مجموع الفتاوى (٣٥ / ٣٨٨)

[2] مجموع فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٢ / ٢٨٠) , و قال أيضا في **رسالة تحكيم القوانين** : إنّ من الكُفر الأكبر المُستبين, تنزيل القانون اللعين, منزلة ما نزل به الروح الأمين, على قلب محمد ﷺ, ليكون من المُنذرين, بلسان عربي مُبين, في الحُكم به بين العالمين, و الردّ إليه عند تنازع المُتنازعين, مُناقضة و مُعاندة لقوله عزّ وجل : { **فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا** }.

[3] قلتُ: و كما بيّن الشيخ – رحمه الله – أن تحكيم القانون الوضعي كفرٌ أكبر ؛ كذلك قال به ابن عثيمين في **القول المفيد في شرح كتاب التوحيد** (١٦٠/٢), و في **شرح رياض الصالحين** (٢٦١/٢) في باب المحافظة على السنة, و في **مجموع فتاويه** (١٤٤/٢), و كذلك عبد الرحمان السعدي في **القول السديد في مقاصد التوحيد** (ص ١٣٦), و محمد الأمين الشنقيطي في **العذب النمير** (٤٤١/٥), و **أضواء البيان** (١٠٩/٤ - ١١٠) , و الكثير من أهل العلم.

تشريعُ الأحكام التي يسيرُ عليها العِباد في عِباداتهم و مُعاملاتهم و سائر شئونهم و التي تفصل النِزاع بينهم و تُنهي الخصومات حقٌ لله تعالى ربِ الناس و خالِق الخلَق: { **أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** }[1] , و هو الذي يعلم ما يصلح عِباده فيُشرّعه لهم, فَبِحكم ربوبيته لهم, و بِحُكم عبوديتهم له يقبلون أحكامه – و المصلحة في ذلك عائدة إليهم – قال تعالى : { **فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا** }[2] , و قال تعالى : { **وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي** }[3] , و استنكر سُبحانه أن يتخذ العباد مُشرّعاً غيره فقال : { **أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ** }[4] ؛ فمن قبل تشريعاً غير تشريع الله فقد أشرك بالله تعالى – و ما لم يُشرّعه الله و رسوله من العبادات فهو بدعة ؛ و كلّ بدعة ضلالة – قال الرسول ﷺ : { **من أحدَث في أمرِنا – أو دينِنا – هذا ما ليس فيه فهو ردٌّ** }[5] , و في رواية : { **من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد** }[6] , و ما لم يشرعه الله و لا رسوله في السياسة و الحكم بين الناس فهو حكم الطاغوت و حكم الجاهلية لقوله تعالى : { **أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ** }[7] .

فجعل سُبحانه طاعة الشياطين و أوليائهم في تحليل ما حرّم الله شِركاً به سُبحانه , و كذلك من أطاع العُلماء و الأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرّم الله, فقد إتخذهم أرباباً من دون الله, لقول اللهِ تعالى : { **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا**

[1] الأعراف: ٥٤

[2] النساء: ٥٩

[3] الشورى: ١٠

[4] الشورى: ٢١

[5] أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨)

[6] رواه مسلم

[7] المائدة: ٥٠

هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿[1] , و عند الترمذي و غيره أن النبي ﷺ تلا هذه الآية على عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه فقال : ﴿ يا رسول الله لسنا نعبدهم. قال: أليس يحلّون لكم ما حرّم الله فتحلونه, و يحرّمون ما أحلّ الله فتحرّمونه؟ قال: بلى. فقال النبي ﷺ: فتلك عِبادتهم﴾[2] فصارت طاعَتُهم في التحليل و التحريم من دون الله عبادة لهم و شِركاً – و هو شركٌ أكبر يُنافي التوحيد الذي هو مدلول شهادة أن لا إله إلّا الله[3] , و إذا كان هذا فيمن أطاع العُلماء و العُبّاد في التحليل و التحريم الذي يخالف شرع الله مع أنّهم أقرب إلى العلم و الدين, و قد يكون خطأهم عن إجتهاد, فكيف بمن يُطيعُ أحكام القوانين الوضعية التي هي من صنع الكُفار و الملحدين – يجلبها إلى بلاد المُسلمين و يحكم بها بينهم – فلا حول و لا قوة إلا بالله. إنّ هذا قد اتخذ الكفار أرباباً من دون الله, و يشرعون له الأحكام , و يبيحون له الحرام, و يحكمون بين الناس .

الفصلُ الثامن: حُكم الإنتماء إلى المذاهب الإلحادية و الأحزاب الجاهلية

١- الإنتماء إلى المذاهب الإلحادية: كالشيوعية و العلمانية و الرأسمالية و غيرها من مذاهب الكُفر ؛ ردّةٌ عن دين الإسلام[4] . فإن كان المُنتمي إلى تلك المذاهب يدّعي الإسلام فهذا من النِفاق الأكبر, فإنّ المُنافقين ينتمون إلى الإسلام في الظاهر, و هم مع الكُفّار في الباطن – كما قال تعالى فيهم : ﴿ **وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ** ﴾[5] ؛ فهؤلاء المُنافقون المُخادعون: لكل

---

[1] التوبة: ٣١

[2] رواه الترمذي (٣٠٩٤), وأخرجه ابن جرير (١٦٦٣١), و أورده السيوطي في الدر المنثور (٣/٢٣٠), و ابن المنذر, و ابن أبي حاتم, و الطبراني و ابن مردويه, و البيهقي في ((سننه))

[3] فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد (ص ١٠٧)

[4] و الانتماء لهذه المذاهب ردّةً: لأنها تقومُ على أُسُسٍ تُناقِضُ أصْلَ التوحيد؛ فمِنها ما ينْفي وجودَ الخالق كالشيوعية، أو يعزِلُ الدين عن شؤونِ الحياة والتشريع كالعلمانية، أو يُعلّي المادة والمصالِح البشرية فوق أوامِرِ الله كالرأسمالية ؛ و قد تقدّم بيان أنّ إعْتِقاد أن غَيْر حُكمِ اللهِ أفضل أو إسْتِحلاله أو الرّضا بِهِ فهو كُفرٌ أكبر مُخرِجٌ من الملّة .

[5] البقرة: ١٤

منهم وجهان: وجه يلقى به المُؤمنين, ووجهٌ ينقلب به إلى إخوانه من المُلحدين ؛ إنّما غزت هذه المذاهب بلاد المُسلمين لمّا غاب عن أكثريتها الدين الصحيح و تربّت على الضياع, و عاشت على التبعية .

٢- و الإنتماءُ للأحزاب الجاهلية و القوميات العُنصرية هو الآخر كُفرٌ و ردّة عن دين الإسلام[١] , لأنّ الإسلام يرفض العصبيات و النعرات الجاهلية , يقول تعالى : { **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** }[٢] , و قال النبي ﷺ : { **إنَّ اللهَ قد أذهب عنكم عُبِّيَّةَ الجاهليةِ وفخرَها بالآباءِ , مؤمنٌ تقيٌّ , وفاجرٌ شقيٌّ , أنتم بنو آدمَ , وآدم من تراب** }[٣] .

و هذه الحِزبيّات تُفرّق المُسلمين, و الله قد أمر بالإجتماع و التعاون على البرِّ و التقوى , و نهى عن التفرّق و الإختلاف قال تعالى : { **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا** }[٤] ؛ فإنّ الله سُبحانه و تعالى يريد منّا أن نكون حِزباً واحداً , هم حزب الله المُفلحون , و لكن العالم الإسلامي أصبح بعدما غزته أوروبا سياسياً و ثقافياً, يخضع لهذه العصبيات الدموية و الجنسية و الوطنية , و يؤمن بها كقضية علمية و حقيقة مقررة وواقع لا مفر منه. و الواجبُ أن يُعلم أن هذه الحِزبيات عذابٌ بعثه الله على من أعرض عن شرعه و تنكر لدينه كما قال تعالى : { **قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ** }[٥] , و قال النبي ﷺ : { **ما لَم تَحكُم أئمَّتُهم بِكِتابِ اللَّهِ ويتخيَّروا ممَّا أنزلَ اللَّهُ إلَّا جعلَ اللَّهُ بأسَهم بينَهم** }[٦] .

---

١ سُئل الشيخ – رحمه الله – عن ما ذُكر أن الإنتماء إلى الحزبيات هو كفر و ردّة , فقال : { أنه وجب التفريق فإن الأحزاب الإلحادية فلا شك أنّها ردّة, أمّا ما دونها من الأحزاب التي لا تصل إلى الكفر و التي تنتسب إلى الإسلام لكن عندها بعض المخالفات و البدع فهي خطأ و ليست ردّة لكنه لا ينبغي الإنتساب إليها } , ((من فتاوى الحرم المكي))

٢ الحجرات: ١٣

٣ أخرجه أبو داود (٥١١٦) واللفظ له، والترمذي (٣٩٥٦) مختصراً باختلاف يسير، وأحمد (٨٧٣٦) باختلاف يسير

٤ ال عمران: ١٠٣

٥ الأنعام: ٦٥

٦ أخرجه ابن ماجه (٤٠١٩) واللفظ له، وابن أبي الدنيا في ((العقوبات)) (١١)

أ- الحِلفُ: هو اليمين – و هي توكيد الحكم بذكر مُعظّم على وجه الخصوص, و التعظيم: حقٌّ لله تعالى فلا يجوز الحلف بغيره, فقد أجمع العلماء على أن اليمين لا تكون إلا بالله أو بأسمائه و صفاته, و أجمعوا على المنع من الحلف بغيره[1] و الحِلفُ بغير الله شركٌ لِما روى ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: أن رسول الله ﷺ قال : { **من حلفَ بغيرِ اللهِ فقد كفرَ أو أشركَ** }[2] و هو شِركٌ أصغر , إلّا إذا كان المحلوف به مُعظّماً عند الحالف إلى درجة عبادته له فهذا شركٌ أكبر ؛ كما هو حال عُبّاد القبور, فإنّهم يخافون من يُعظمون من أصحاب القبور أكثر من خوفهم من الله و تعظيمه, بحيث أنه إذا طُلب من أحدهم أن يحلف بالولي لم يحلف به إلّا صادقاً, و إذا طُلب أن يحلف بالله حلف به و إن كان كاذباً .

فالحلفُ تعظيمٌ للمحلوف به لا يليقُ إلّا بالله, و يجب توقير اليمين بالله فلا تُكثِر منها – قال تعالى : { **وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ** }[3] , و قال تعالى : { **وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ** }[4] , أي لا تحلفوا إلّا عند الحاجة و في حالة الصدق و البر – لأن كثرة الحلف أو الكذب فيها يدُلّان على الإستخفاف بالله و عدم التعظيم له و هذا يُنافي كمال التوحيد .

ب- التوسل بالمخلوق إلى الله تعالى:

التوسل: هو التقرب إلى الشيء و التوصل إليه و الوسيلة : القُربة, قال الله تعالى : { **وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ** }[5] , أي: القُربة إليه سُبحانه بطاعته و إتّباع مرضاته, و التوسلُ قِسمان:

القسمُ الأول: توسلٌ مشروع و هو أنواع:

---

[1] حاشية ابن قاسم على كتاب التوحيد (ص ٣٠٣)

[2] أخرجه أبو داود (٣٢٥١)، والترمذي (١٥٣٥), وأحمد (٦٠٧٢)

[3] القلم: ١٠

[4] المائدة: ٨٩

[5] المائدة: ٣٥

النوع الأول: التوسل إلى الله تعالى بأسمائه و صفاته, كما أمر تعالى بذلك في قوله : { **وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** }[1] .

النوع الثاني: التوسلُ إلى الله تعالى بالإيمانِ و الأعمال الصالحة, التي قام بها المُتوسِل, كما قال تعالى عن أهل الإيمان : { **رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ** }[2] , و كما في حديث الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة فسدّت عليهم باب الغار, فتوسّلوا إلى الله بِصالح أعمالهم, ففرّج الله عنهم[3] ؛ فخرجوا يمشون .

النوع الثالث: التوسل إلى الله تعالى بِتوحيده, كما توسل يونُس عليه السلام : { **فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ** }[4] .

النوع الرابع: التوسل إلى الله تعالى بإظهار الضُعف و الحاجة و الإفتقار إلى الله, كما قال أيوب عليه السلام : { **وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ** }[5] .

النوع الخامس: التوسل إلى الله بدعاء الصالحين الأحياء, كما كان الصحابة إذا أجدبوا[6] طلبوا من النبي ﷺ أن يدعوا الله لهم, و لمّا توفي صاروا يطلبون من عمّه العبّاس رضي الله عنه فيدعوا لهم .

النوع السادس: التوسل إلى الله بالإعتراف بالذنب, قال تعالى :{**قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي**}[7] .

---

[1] الأعراف: ١٨٠

[2] آل عمران: ١٩٣

[3] هذا مضمون الحديث, أخرجه البخاري (٢٢٧٢), و مسلم (٢٧٤٣) باختلاف يسير, و أخرجه الطيالسي في ((مسنده)) (٢١٢٦)، وابن حبان (٩٧١)، والطبراني في ((المعجم الأوسط)) (٢٤٥٤) باختلاف يسير

[4] الأنبياء: ٨٧

[5] الأنبياء: ٨٣

[6] أجْدَبوا: أيْ أصاب القومَ أو المكانَ الجَدْبُ والقحط، أي انقطع المطر فيبست الأرض وقلّ المرعى، أو افتقر الناس ونقص خيرهم.

[7] القصص: ١٦

القسمُ الثاني: توسلٌ غيرُ مشروعٍ: و هو التوسّل بطلبِ الدعاءِ و الشفاعة من الأموات, و التوسّل بِجاهِ النبي ﷺ , و التوسل بذواتِ المخلوقين أو حقهم, و تفصيل ذلك كما يلي:

١- طلب الدعاء من الأموات لا يجوز: لأنّ الميت لا يقدر على الدعاء, كما كان يقدر عليه في الحياة و طلب الشفاعة من الأموات لا يجوز, لأنّ عمر بن الخطاب و معاوية بن أبي سُفيان و من بحضرتهما من الصحابة و التابعين لهم بإحسان لمّا أجدبوا استسقوا و توسلوا و استشفعوا بمن كان حياً كالعباس و كيزيد بن الأسود, و لم يتوسلوا و لم يستشفعوا و لم يستسقوا بالنبي ﷺ لا عند قبره و لا عند غيره, و قد قال عمر رضي الله عنه : {**اللهم إنّا كنّا نتوسل إليك بنبينّا فتسقينا و إنّا نتوسل بعم نبينا فإستقنا**}[1] .

فإنّ تركهم لذلك دليل على عدم جواز التوسل بالأموات, لا بِدعائهم و لا بشفاعتهم, فلو كان طلبُ الدعاء منه و الإستشفاع به حياً و ميتاً, سواء لم يعدلوا عنه إلى غيره ممن هو دونه .

٢- التوسل بجاه النبي ﷺ أو بجاه غيره لا يجوز: فالحديثُ الذي فيه : { إذا سألتم الله فاسألوه بِجاهي, فإن جاهي عند الله عظيم }[2] حديث مكذوب ليس في شيء من كتب المسلمين التي يُعتمد عليها, و لا ذكره أحد من أهل العلم[3] ؛ و ما دام لم يصح فيه دليل فهو لا يجوز, لأن العبادات لا تُثبت إلا بدليل صحيح صريح .

٣- و التوسل بذوات المخلوقين لا يجوز: لأنه إن كان الباء للقسم فهو إقسام به على الله تعالى, و إذا كان الإقسام بالمخلوق على المخلوق[4] لا يجوز و هو شرك كما في الحديث[5] , فكيف بالإقسام بالمخلوق على الخالق جلّ و علا, و إن كانت الباء للسببية ,فالله سبحانه لم يجعل السؤال بالمخلوق سبباً للإجابة, و لم يشرعه لعباده .

٤- و التوسل بحق المخلوق لا يجوز لأمرين:

---

[1] أخرجه البيهقي (٦٥٠١)، والبغوي في ((شرح السنة)) (١١٦٥) واللفظ لهما، وابن خزيمة(١٤٢١)

[2] قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في ((الرد على البكري)) (ص ١٣٠): "باطل لم يروه أحد من أهل العلم ولا هو في شيء من كتب الحديث" , و قال المحدث الألباني في ((التوسل للألباني)) (ص ١١٥): "باطلٌ لا أصل له".

[3] مجموع الفتاوى (٣١٩/١٠)

[4] الإقسام بالمخلوق على المخلوق: و هو الحِلف بالمخلوق (مثل قول: وحياتك، بجاه النبي، برأس فلان)

[5] يشيرُ هنا الشيخ – رحمهُ الله – إلى قول النبي ﷺ : { **من حلفَ بغيرِ اللهِ فقد كفرَ أو أشركَ** } و قد سبق تخريجه (ص ٣١).

الأول: أنّ الله سبحانه لا يجب عليه حقٌ لأحد, و إنما هو الذي يتفضل سبحانه على المخلوق بذلك, كما قال تعالى : { **وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ** }[1] , فكون المطيع يستحق الجزاء هو إستحقاق فضلٍ و إنعام, و ليس هو إستحقاقُ مقابلة, كما يستحق المخلوق على المخلوق .

الثاني: أنّ هذا الحق الذي تفضل الله به على عبده هو حقٌ خاص لا علاقة لغيره به, فإذا توسل به غيرُ مستحقه كان مُتوسلاً بأمر أجنبي لا علاقة له به, و هذا لا يجديه شيئاً. أمّا الحديث الذي فيه : { أسألك بحق السائلين }[2] فهو حديثٌ ضعيف لا يثبت عن النبي ﷺ , و ما كان كذلك فإنّه لا يُحتجّ به في مسائل العقيدة .

ج- حكم الإستعانة و الإستغاثة بالمخلوق:

الإستعانة: طلبُ العون و المُؤازرة في الأمر .

الإستغاثة: طلبُ الغوث و هو إزالة الشدّة .

فالإستعانة و الإستغاثة بالمخلوق على نوعين:

النوع الأول: الإستعانة و الإستغاثة بالخلوق فيما يقدر عليه و هذا جائز, قال تعالى : { **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ** }[3] , و قال تعالى : { **فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ** }[4] .

[1] الروم: ٤٧

[2] أخرجه ابن ماجه (٧٧٨)، وأحمد (١١١٥٦) , و هو ضعيفٌ لأنّ في إسناده عطية بن سعد بن جنادة العوفي قال عنه ابن حجر "**صدوق يخطئ كثيرا. وكان شيعيا مدلسا.**" في تقريب التهذيب (٦٨٠/١), و **قال النسائي:** "**ضعيف**" في تهذيب التهذيب (١١٤/٣), و **قال الذهبي:** "**ضعّفوه**" في الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستّة (٤٢١/٣) .

[3] المائدة: ٠٢

[4] القصص: ١٥

النوع الثاني: الإستغاثة و الإستعانة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله: كالإستعانة بالأموات, و الإستغاثة بالأحياء, و الإستعانة بهم فيما لا يقدر عليه إلّا الله من شفاء المرضى و تفريج الكُرُبات و دفع الضّر – فهذا النوع غير جائز, و هو شركٌ أكبر .

البابُ الثالث: البِدْعَةُ, و أسبابها , و أمثلة عنها

الفصلُ الأول: تعريف البدعة و أنواعها

أ- تعريفها – البدعة في اللغة: مأخوذة من البَدْع و هو الإختراع على غير مثال سابق, و منه قوله تعالى : { **بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** }[1] , أيْ مُخترعُهما على غير مثال سابق, قوله تعالى : { **قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ** }[2] , أيْ ما كُنتُ أول من جاء بالرسالة من الله إلى العباد, بل تَقَدّمني كثيرٌ من الرُسل.

و يُقال: إبتدع فلانٌ بدعة يعني إبتدأ طريقة لم يسبق إليها .

و الإبتداعُ على قسمين:

١- إبتداعٌ في العادات: كإبتداع المُخترعات الحديثة, و هذا مُباح لأنّ الأصل في العادات الإباحة.

٢- و إبتداع في الدين, و هذا مُحرّم, لأن الأصل فيه التوقف, قال النبي ﷺ : { **من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد** }[3] و في رواية : { من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد }[4]

[1] البقرة: ١١٧

[2] الأحقاف: ٠٩

[3] سبق تخريجه (ص ٢٤)

[4] سبق تخريجه (ص ٢٥)

ب- أنواع البدع – البدعة في الدين نوعان:

النوع الأول: بدعة قولية إعتقادية: كمقالات الجهمية و المعتزلة و الرافضة و سائر الفرق الضالة و إعتقاداتهم .

النوع الثاني: بدعة في العِبادات: كالتعبد لله بعِبادة لم يشرعها و هي أقسام:

القسم الأول: ما يكون في أصل العبادة: بأن يحدث عِبادة ليس لها أصل في الشرع, كأن يُحدِثَ صلاةً غير مشروعة أو صِياماً غير مشروع أصلاً أو أعياداً غير مشروعة كأعياد الموالد و غيرها .

القسم الثاني: ما يكون من الزيادة في العبادة المشروعة , كما لو زاد ركعةً خامسةً في صلاة الظُهر أو العصر مثلاً .

القسم الثالث: ما يكون في صفة أداء العبادة المشروعة بأن يؤديها على صفة غير مشروعة , و ذلك كأداء الأذكار المشروعة بأصوات جماعية مُطرِبة, و كالتشديد على النفس في العِبادات إلى حدٍ يَخرُجُ عن سنة ﷺ .

القسم الرابع: ما يكون بتخصيص وقت للعِبادة المشروعة لم يُخصِصهُ الشرع ,كتخصيص يوم النِصف من شعبان وليله بصِيام و قيام , فإنّ أصل الصيام و القيام مشروعٌ ولكن تخصيصه بوقت من الأوقات يحتاج إلى دليل .

ج- حكمُ البدعة في الدين بجميع أنواعها: **كل بدعة في الدين فهي محرّمة و ضلالة** , لقوله ﷺ : { **إياكم و مُحدثات الأمور , فإنّ كل محدثة بدعة و كل بدعة ضلالة** }[1] و قوله ﷺ : { من عَمِل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد }[2] , فدل الحديثان على أن كل مُحدَثٍ في الدين فهو بدعة. و كل بدعة ضلالة مردودة, و معنى ذلك أن البدع في العبادات و الإعتقادات مُحرّمة, ولكن التحريم يتفاوت بحسب نوعية البدعة, فمنها ما هو كفرٌ , كالطواف بالقبور تقرّباً إلى أصحابها و دعاء أصحابها , و الإستغاثة بهم , و كأقوال غلاة الجهمية و المعتزلة – و منها ماهو

[1] أخرجه أبو داود (٤٦٠٧), و أحمد (١٧١٨٥)

[2] سبق تخريجه , (ص ٢٥)

من وسائل الشرك[1] , كالبناء على القبور و الصلاة و الدعاء عندها – و منها ما هو فسق إعتقادي كبدعة الخوارج و القدرية و المُرجئة في أقوالهم و إعتقاداتهم المُخالفة للأدلة الشرعية و منها ماهو معصية كبدعة التبتل[2] و الصيام قائماً في الشمس[3] .

تنبيه: و من قسّم البِدعة إلى بِدعة حسنة و بدعة سيئة فهو مُخطئ و مُخالفة لقوله ﷺ : { كلّ بدعة ضلالة { لأنّ الرسول ﷺ حكم على البِدع كلّها بأنها ضلالة, و هذا يقول ليس كل بدعة ضلالة بل هناك بدعة حسنة . فإنّ قوله ﷺ : { كل بدعة ضلالة } من جوامع الكلم لا يخرج عنه شيئ, و هو أصل عظيم من أصول الدين, و هو شبيه بقوله ﷺ : { من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد } فكل من أحدث شيئاً و نسبه إلى الدين و لم يكن من الدين له أصل من الدين يرجع إليه فهو ضلالة, و الدين بريء منه, و سواء في ذلك مسائل الإعتقاد أو الأعمال أو الأقوال الظاهرة و الباطنة[4] .

الفصلُ الثاني: أسباب ظهور البدع

١- ظهور البدع في حياة المُسلمين و تحته مسألتان:

المسألة الأولى: وقت ظهور البدع:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله : { و اعلم أن عامة البِدع المُتعلقة بالعلوم و العِبادات إنما وقع في الأمة في أواخر الخُلفاء الراشدين كما أخبر به النبي ﷺ حيث قال : { **من يعش منكم فسيرى إختلافاً كثيراً ، فعليكم**

[1] من وسائل الشرك: أيْ لا يصل إلى حد الشرك و الكفر
[2] التبتل: وهو الانقطاع عن الزواج والانغماس المبالغ فيه في العبادة أو الرهبنة
[3] الإعتصام للشاطبي (٣٧/٢)
[4] جوامع العلوم و الحِكم للحافظ ابن رجب في شرح الأربعين (ص ٢٣٣)

بسنّتي و سنة الخُلَفاء الراشدين المهديين }[1] , و أول بدعة ظهرت بدعة القدر[2] و بدعة الإرجاء[3] , و بدعة التشيع و الخوارج و لما حدثت الفُرقة بعد مقتل عُثمان ظهرت بدعة الحرورية[4] , ثم في أواخر عصر الصحابة حدثت القدرية , و حدثت المرجئة قريباً من ذلك ؛ هذه البدع ظهرت في القرن الثاني و الصحابة موجودون و قد أنكروا على أهلها , ثم ظهرت بدعة الإعتزال[5] و حدثت الفِتن بين المسلمين و الميل إلى البِدع و الأهواء و ظهرت بدعة التصوّف[6] , وهكذا كلما تأخر الوقت زادت البدع و تنوعت .

المسألة الثانية: مكان ظهور البدع:

تختلف البلدان الإسلامية في ظهور البدع فيها , قال شيخ الإسلام ابن تيمية : { فإنّ الأمصار الكِبار التي سكنها أصحاب رسول الله ﷺ و خرج منها العلم و الإيمان خمسة: الحرمان و العِراقان, و الشام. منها خرج القرآن و الحديث و الفقه و العبادة و ما يتبع و ما يتبع ذلك من أمور الإسلام و خرج من هذه الأمصار بدعٌ أصولية غير المدينة النبوية, فالكوفة خرج منها التشيع و الإرجاء و انتشر بعد ذلك في غيرها, و البصرة خرج منها القدر و الإعتزال و النسك الفاسد و انتشر بعد ذلك في غيرها , و أمّا التجهّم فإنما ظهر من ناحية خراسان و هو شر البدع, و كان ظهور البدع بحسب البُعدِ عن الدار النبوية , و أمّا المدينة النبوية فكانت سليمة من ظهور

---

[1] أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وأحمد (١٧١٤٥)، وابن حبان(٥)

[2] بدعة القدر (القدرية): هي من أوائل البدع التي ظهرت في أواخر عهد الصحابة، وتتلخص في إنكار علم الله السابق لأفعال العباد، والقول بأن "الأمر أُنُف" (مستأنف)، أي أن الله لا يعلم أفعال العباد إلا بعد وقوعها .

[3] بدعة الإرجاء: هي عقيدة باطلة ظهرت في أواخر عصر الصحابة، تقوم على تأخير العمل عن مسمى الإيمان، والقول بأن الإيمان تصديق قلبي أو قولي فقط لا يزيد ولا ينقص, و أن الأعمال الصالحة ليست شرط لصحة الإيمان.

[4] الحرورية: هم فرقة مِن فرَق الخوارج، وكان مبدأُ خُروجِهم من بلدة حَرُوراءَ بقرب الكوفة بالعراق فنُسِبوا إليها، وهم مَن أنكَروا على الخليفة الرابع الإمام علي بن أبي طالب التّحكيم في قتالِه مع معاوية بن أبي سفيان، ثمّ قاتَلوه، وكفّروا المسلمين، واستحَلُّوا دماءَهم.

[5] بدعة الاعتزال: هي عقيدة باطلة نشأت في أوائل القرن الثاني الهجري على يد واصل بن عطاء بعد اعتزاله حلقة الحسن البصري . قوضت أصول أهل السنة بتقديم العقل المجرد على النقل، واشتهروا بقولهم بـ "المنزلة بين المنزلتين" لمرتكب الكبيرة (لا مؤمن ولا كافر)، ونفي الصفات، والقول بخلق القرآن .

[6] بدعة التصوف (الصوفية): هي طرق تعبدية بإحداث طرق في العبادة و التنسك, و أوراد, و أذكار ما شرعها الله, لم ترد في الكتاب أو السنة, يتعبد بها الصوفية بأساليب خاصة, و غالبا ما تتضمن الغلو في المشايخ و الأولياء , ولهذا غلب على المتصوفة البدع .

البِدع , و قد ثبت عن النبي[1] ﷺ أن الدجّال لا يدخلها, و لم يزل العِلم و الإيمان ظاهراً إلى زمن أصحاب مالك و هم من أهل القرن الرابع }[2] .

٢- الأسباب التي أدّت إلى ظهور البِدع: مما لا شكّ فيه أن الإعتصام بالكتاب و السنّة فيه منجاة من الوقوع في البِدع و الضلال, قال تعالى : { **وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ** }[3] , و قد وضّح ذلك النبي ﷺ فيما رواه ابنُ مسعود رضي الله عنه قال : { خطّ لنا رسول الله ﷺ خطاً فقال : { هذا سبيلُ الله } ثُمّ خطّ خطوطاً عن يمينه و عن شماله ثمّ قال : { و هذه سبيل الشيطان يدعو إليه } ثم تلا: { **وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** }}[4] ، فمن أعرض عن الكتاب و السنة تنازعته الطرق المُضلّة و البدع المُحدثة .

فالأسباب التي أدّت إلى ظهور البِدع تتلخص في الأمور التالية: **الجهل بأحكام الدين**[5] , **إتّباع الهوى**[6] , **التعصّب للأراء و الأشخاص**[7] , و **التشبّه بالكفّار و تقليدهم**[8] .

---

[1] أخرجه البخاري (١٨٨١)، ومسلم(٢٩٤٣) .

[2] مجموع الفتاوى (٢٠/٣٠٠-٣٠٠٣) بإختصار.

[3] الأنعام: **١٥٣**

[4] أخرجه أحمد (٤١٤٢)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (١١١٧٤)، والدارمي(٢٠٢)

[5] الجهل بأحكام الدين: هو من أبرز أسباب نشوء وانتشار البدع، حيث يؤدي غياب العلم الشرعي الصحيح إلى استحسان أمور لا أصل لها في الدين والوقوع في المحدثات.

[6] إتباع الهوى: هو تقديم الهوى العقلي أو النفسي على نصوص الشريعة .ويسمي العلماء أهل البدع "أهل الأهواء" لأنّهم يحكّمون آراءهم أولاً، ثم يسعون لتكييف الأدلة الشرعية لتوافق أهواءهم، مما يؤدي للضلال والفرقة ، و الله يقول : { **فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ** } [الأنعام: ٥٠]

[7] التعصّب لآراء الأشخاص و المشايخ: و هو يحول دون اتباع الدليل الشرعي الصحيح ويقدّم أقوال المشايخ أو المذاهب على الكتاب والسنة. و الله تعالى يقول : { **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ** } [البقرة: ١٧٠]

[8] التشبه بالكفّار: يؤدي التشبه و تقليد عاداتهم وسلوكياتهم - التي هي من خصائصهم - إلى إدخال أمور في الدين لم يأذن بها الله، مما يمثل خروجاً عن السنّة , و قال النبي ﷺ : { **لتتّبعنَّ سَنَنَ من كانَ قبلَكم حذو القُذَّةِ بالقُذَّةِ حتَّى لو دخلوا جحرَ ضبٍّ لدخلتُموه. قالوا: اليَهودُ والنَّصارى؟ قالَ: فَمَن.** } أخرجه البخاري (٧٣٢٠)، ومسلم (٢٦٦٩)، وأحمد(١١٨٠٠) .

و هي:

١- الإحتفال بالمولد النبوي .

٢- التبرّك بالأماكن و الآثار و نحو ذلك .

٣- البِدع في مجال العِبادات و التقرّب إلى الله .

و البِدع المُعاصرة كثيرة بِحُكمِ تأخّر الزمن و قِلّة العِلم و كثرة الدُعاةِ إلى البِدع و المُخالفات و سريان التشبه بالكفار في عاداتهم و طقوسهم مِصداقاً لقوله ﷺ : { **لتتَّبعنَّ سَنَنَ من كانَ قبلكم** }[1] .

١- الإحتفال بمناسبة المولد النبوي في ربيع الأول:

و هو تشبّهٌ بالنصارى في عمل ما يُسمّى بالإحتفال بمولد المسيح, فيحتفل جهلة المُسلمين أو العُلماء المُضلّين في ربيع الأول من كل سنة بِمُناسبة مولد الرسول محمد ﷺ , و حتى لو خلا هذا الإحتفال من الإختلاط بين الرجال والنساء و ضرب الطبول و إعتقاد أن الرسول ﷺ يحضر إحتفالهم , و اقتصر على الاجتماع و تناول الطعام و إظهار الفرح – كما يقولون – فإنّه بدعةٌ مُحدثة (و كل مُحدثة بدعة, و لك بدعة ضلالة) .

و قُلنا: إنه بِدعة , لأنّه لا أصل له في الكِتاب و السنة و عمل السلف الصالح و القرون المُفضّلة , و إنّما حدث مُتأخِراً بعد القرن الرابع الهجري, أحدثه الفاطِميون الشيعة .

٢- التبرّك بالأماكن و الآثار و الأشخاص أحياءً و أمواتاً:

من البِدع المُحدثة التبرك بالمخلوقين – و هو لون من ألوان الوثنية , و التبرّك: هو طلب البركة و هي ثبوتُ الخيرِ في الشيءِ و زِيادته – و طلبُ ثبوتِ الخيرِ و زِيادته إنّما يكون ممن يملك ذلك ويقدر عليه و هو الله

[1] سبق تخريجه, انظر الحاشية (ص ٢٧) .

سُبحانه, فهو الذي يُنزل البركة و يثبّتها – أمّا المخلوق فإنّه لا يقدر على منح البركة و إيجادِها, فالتبرّك بالأماكن و الآثار و الأشخاص أحياءً و أمواتاً لا يجوز, لأنه إمّا شِركٌ, إن إعتقد أن ذلك الشيء يمنح البركة ؛ أو وسيلة إلى الشرك إن إعتقد أن زِيارته و مُلامسته و التمسّحَ به سببٌ لحصولها من الله .

٣- البِدع في مجال العِبادات و التقرّب إلى الله:

البِدع التي أحدِثَت في مجال العبادات في هذا الزمان كثيرة – و الأصلُ في العبادات التوقيف فلا يُشرَع شيءٌ مِنها إلّا بدليل , و ما لم يدُل عليه الدليل فهو بدعة ؛ و العبادات التي تُمارس الآن و لا دليل عليها كثيرةٌ جداً منها: الجهر بنية الصلاة بأن يقول المُصلّي: نويت أن أصلي لله كذا و كذا, و هذه بدعة لأن النية محلها القلب فهي عمل قلبي لا عمل قولي, و منها أيضاً الذِكرُ الجماعي بعد الصلاة, لأنّ المشروعَ أن كل شخص يقول الذِكرَ الوارِد مُنفرِداً, و مِنها طلب قِراءة الفاتحة في المُناسبات و بعد الدُعاءِ للأموات, و كل ذلك بدعٌ لا أصل لها و آصال ة أغلالٌ ما أنزل الله بها من سُلطان .

و مِنها الإحتفال بالمُناسبات الدينية كمُناسبة الإسراء و المِعراج و مُناسبة الهِجرة النبوية, و هذا الإحتفال بتلك المُناسبات لا أصل له في الشرع, و من ذلك ما يُفعل في شهر رجب كالعُمرة الرجبية و ما يُفعل فيه من العِبادات الخاصة, فإنّه لا ميزة له على غيره من الشهور لا في عمرة و صيامٍ و صلاة .

و من ذلك الأذكار الصوفية بأنواعِها, كلّها بِدع و مُحدثات لأنّها مُخالفة للأذكار المشروعة في صيغها و هيئاتها و أوقاتها .

فإنّ البِدع بريد الكُفر , و هي زيادة في الدين لم يشرعه الله و لا رسوله, و البدعة شرٌ من المعصية الكبيرة, و الشيطان يفرح بها أكثر مما يفرح بالمعاصي , لأنّ العاصي يفعل المعصية و هو يعلم أنّها معصية فيتوب مِنها, و المُبتدع يفعلُ البِدعة يعتقدها ديناً يتقرب به إلى الله فلا يتوب منها .

و خِتاماً:

و بعد أن قرأتَ هذا الكِتاب القيّم, الذي بيّنه عُلماء كانوا للحقّ باحثين و للدليل و الرسول ﷺ مُتّبعين، ندعوكَ إلى العملِ به, لِتكونَ ممن قال الله فيهم : { **الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ** }[1]

و اعلم أنَّ ما قرأتهُ إمّا حُجة لك أو عليك, فبادِر بالعملِ به و قَبولِه بصدرٍ رحِب, ولا تَقُل هذا قولٌ من الأقوال, أو مذهبٌ من المذاهِب, و لستُ مُلزماً به, فذاكَ أمرٌ غيرُ صحيح, ولا يكُن للشيطانِ عليك مدخلٌ, و لا تستسلم لنزوات الشيطان و لا لِهوى النّفس, فإنّ كلّ أولئك مانِعٌ من دخولِ الجنّة, و احرص على نَشرِ هذا الخير بين الناس , قال النبي ﷺ : { **إنَّ الدالَ على الخيرِ كفاعلِه** }[2] , و إذا إنتهيتَ من قِراءة هذا الكِتاب فأهده إلى غيرِك , و لا تنس أن تدعو لمن أعدّه و طبعه و نشره بين الناس بان يغفر الله له و لوالديه و لجميع المسلمين .

نسأل الله تعالى أن يوفقنا , و إياك لقبول الحق و العمل به إنّه ولي ذلك و القادِر عليه .

---

[1] الزمر: ١٨

[2] أخرجه الترمذي(٢٦٧٠)

فهرس الكتاب